تأثيرات العولمة على المنظومة التعليمية الجامعية في ميدان العلوم الاجتماعية

د/ عبد الباسط هويدي
أ/ عبد اللطيف قنوعة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعـــة الوادي

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى التعـــرف علـــى تأثيرات العولمة على المنظومة التعليمية الجامعية خاصـــة فـــي ميـــدان العلـــوم الاجتماعية، حيـــث قمنـــا أولا بتعريـــف العولمة التعليمية ثم بينـــا آثارهـــا علـــى المضامين التعليمية في بعـــض مقـــاييس شعب علم النفس وعلم الاجتماع وعلـــوم التربية، وتبين لنا من خلال هذه الدراسة أن هناك ثلاث مواقف مختلفة بخصوص تأثير العولمة وطغيان النظريات الغربيـــة في محتوى المقاييس في برامج التعلـــيم الجامعي، أولها رافض بشدة أي دخيـــل، والثاني متقبل لكل وافد، والثالث وســـط بين الاثنين، كما تبين لنا أن هناك بعض المحـــاولات لصـــياغة نظريـــة عربيـــة إسلامية نابعة من خصوصية مجتمعنا كما أنها قادرة على اســـتيعاب الوافـــد مـــن النظريات والمضامين التعليمية الغربية.

Abstract :

This study aims to identify the effects of globalization on the educational system university, especially in the field of social sciences, where we first define globalization educational and explained effects on educational content in some materials Psychology and Sociology and Science Education, and show us through this study that there are three different attitudes about the impact of globalization and the tyranny western theories in the content of educational materials in the programs of university education, the first dismissive strongly any intruder, and the second acceptor for each newcomer and third compromise between the two, as we found that there are some attempts to formulate a theory of Arab Islamic stemming from the privacy of our society as it is able to absorb incoming theories and Western educational content.

مقدمة:

لقد اجتاحت العولمة مسارات فكرية متنوعة في العالم العربي والإسلامي وأثرت فيها، وبرز من ذلك انعكاسات فكرية متنوعة الأبعاد، تراوحت الآراء والمواقف تجاهها بين الرفض والقبول، وهناك من المفكرين والباحثين من حاول إحداث لغة تجاوب وتفاهم بينهما –أي الرفض للعولمة والقبول بها– في مساحات الرفض لمنطلقات معينة والتجاوب مع متطلبات ضرورية توفرها العولمة في حياتنا الفكرية.

ويبرز للمتتبع لكافة أبعاد العولمة فكريا في عالمنا العربي، أنها أخذت من كافة المفكرين والباحثين في البعد الثقافي والإعلامي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي جهودا في بث الآراء حولها ومحاكمتها في ظل معطيات تلك الأبعاد كلا على حدا، في حين لم يأخذ البعد التربوي حقه من البحث والدراسة، والنشر الإعلامي لذلك، علماً بأنه اخطر تلك الأبعاد الفكرية لاعتبارات تبوئه مهمة تنشئة الأجيال في الأمة وتغذيتها بالفكر ومهارات مواجهة الحياة، وهنا تقف التربية في ظل معادلة حادة متماوجة مع العولمة، لأنها لا يمكن أن ترفض العولمة جملة وتفصيلا، ولا يمكن في الوجهة المقابلة أن تقبلها على الإطلاق دون قيود واحترازات، لأن هناك انعكاسات إيجابية للعولمة في البعد التقني، لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال أثره العميق الإيجابي في العملية التربوية، وهناك انعكاسات سلبية في البعد الثقافي والسلوكي لا يمكن أيضاً تجاهل انعكاساته السلبية على تنشئة الأجيال.

وانطلاقا مما سبق؛ يبرز للمتتبع أهمية تناول موضوع آثار العولمة على المنظومة التعليمية الجامعية في ميدان العلوم الاجتماعية، لما اخذ يشكله هذا البعد الحساس من أبعاد التربية من ضجة إعلامية من جهة، واختلاط شعارات التغيير في محتويات المناهج مع دعوات سياسية أمنية في المنطقة العربية من جهة أخرى ، فضلا عن دعوات عقلانية تدعو للتغيير لغاية تنشئة الأجيال في ظل مواكبة العصر ومتطلباته في ضرورة الإبداع وتنمية مهارات التفكير وامتلاك القدرة على حل المشكلات في مواجهة أعباء الحياة.

وللعولمة آثار قائمة فعلا وآثار محتملة وهي مخرجات المنظومة التربوية مستقبلا لذا أرست العولمة تربية شمولية تغيب فيها أصالة وقيم وأخلاق المجتمعات الضعيفة وقد لا يكون هذا ربما في تدريس العلوم التكنولوجية لكنه في تدريس العلوم الاجتماعية يظهر

جليا، لما تكتسيه هذه العلوم من أهمية في تأثيرها على سلوك وقيم المجتمع، ونأخذ التعليم الجامعي كمثال، من أجل ذلك يحتّم علينا التعامل مع العولمة التربوية في هذا الشق بفعالية نحدد فيه ما نقبله وما نرفضه وما نكيفه وفي هذه المداخلة نحاول مناقشة مختلف الآراء حول هذا التعامل سواء برفض كل ما يأتي من الدول العظمى أو الاستفادة وقبول كل ما يأتي أو قبول ما يتناسب معنا وترك ما يتعارض مع قيمنا وثقافتنا مع التكييف المناسب مع بيئتنا أو أخذ الجانب التقني وتجريده من الإيديولوجيات التي نشأ منها أو الانطلاق من ثقافتنا وقيمنا وتاريخنا مع الانفتاح على ما تأتي به العولمة.

من خلال ما سبق تبرز أهمية هذا المقال الذي نحاول من خلاله الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هو مفهوم العولمة والعولمة التربوية؟
- ما هي أهم التحديات التي تفرضها العولمة على المنظومة التربوية؟
- ما هي آثار وتحديات العولمة على التعليم الجامعي في ميدان العلوم الاجتماعية؟
- كيف نتعامل مع هذه العولمة في التعليم الجامعي في ميدان العلوم الاجتماعية؟.

أولا: مفهوم العولمة:

العولمة في العربية ترجمة لكلمة "Globalization" في الإنكليزية، وتقابلها كلمة Mondialisation في اللغة الفرنسية. وهي كلمة حديثة في اللغة العربية وتعود في أصلها الاشتقاقي العربي إلى كلمة عالم، وتعني تعميم الشيء ليصبح عالميا، أو نقله من حيز الخصوصية إلى مجال العمومية في مستواها الكوني. ويغطي هذا المفهوم التطورات المذهلة التي شهدها المجتمع الإنساني في مجال الاقتصاد والمال والتسويق بالتوازي مع التحولات النوعية التي شهدها في مجال الاتصال والمعلوماتية والانفجار المعرفي. ويعبر عن هذه التحولات وتكاملها بتعبير القرية الكونية الذي يرمز إلى حالة التكامل والاندماج بين أطراف العالم اقتصاديا ومعلوماتيا وثقافيا، حيث تتوارى الحدود والحواجز الجمركية والثقافية والمذهبية بين مكونات الوجود الإنساني[1].

ولكن مما يلاحظ من التعريفات التي أوردها الباحثون والمفكرون التركيز الواضح على البعد الاقتصادي لها، لأن مفهوم العولمة بداية له علاقة وطيدة بالاقتصاد والرأسمالية وهذا ما جعل عدداً من الكتاب يذهبون إلى أن العولمة تعني: تعميم نموذج الحضارة الغربية – خاصة الأمريكية – وأنماطها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله.

ثانيا: البدايات الأولى لظاهرة العولمة:

لا بد من الإشارة هنا أن المحللين والباحثين المنشغلين بالعولمة وقضاياها، فهما وتوصيفا، لا يتفقون على تحديد واحد لتاريخ نشأتها، ففريق يرى أنها ظاهرة قديمة قدم التاريخ، عندما تتصدر حضارة ما باقي الحضارات وتقود العالم، وإن اختلفت تسمية الظاهرة من حقبة تاريخية لأخرى، هذا التصور للعولمة باعتبارها مبدأ أو ظاهرة أو فكرة أو معتقد لازم الإنسانية في كل أطوارها وان كان في كل طور يتخذ له زيا جديدا.

فريق أخر يرى أن العولمة وليدة القرن العشرين، وأصحاب هذا الرأي يختلفون بدورهم في تحديد الفترة، فمنهم من يعود بالظاهرة إلى مؤتمر **يالطة** المنعقد من 4-11 فبراير 1945، وما ترتب عنه عالميا من نتائج أبرزها ما سمي بالحرب الباردة التي انتهت بانهيار المعسكر الاشتراكي، ومنهم من يؤرخ لمرحلة ما يسمى بالعولمة، بأواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، بزعامة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر ودعوتهما لإلغاء كل ما كانت تتسم به الرأسمالية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، من حل وسط تاريخي بين العمل ورأس المال أقيمت على أساسه دولة الرفاهية وذلك بتقنين الرأسمالية وقوانين السوق بشكل مكّن الطبقات العاملة بشكل عام من الاستفادة من التقدم في إنتاجية العمل. لهذا يرى أصحاب هذا الرأي أن مرحلة العولمة بدأت بإعلان ضرورة إلغاء هذا التقنين والدخول في نظام ليبرالية جديدة قائمة على أساس تحكم رأس المال تحكما مطلقا. ومن الباحثين من يؤرخ للظاهرة ببداية عقد التسعينات وظهور مصطلح النظام العالمي الجديد، بعد انهيار المعسكر الشيوعي، واستفراد أمريكا بالعالم، وهم بهذا يؤكدون أن العولمة بثوبها الجديد أمريكية المولد والنشأة، ولا سيما عندما طالبت أمريكا دول العالم بتوقيع اتفاقية التجارة العالمية بقصد سيطرة الشركات العابرة للقارات على الأسواق العالمية.

ثالثا: العولمة في ميدان التعليم:

بروز ظاهرة العولمة يؤثر في ميدان التعليم كما يؤثر في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ذلك أن النظام التربوي التعليمي مرتبط بالعولمة ويحتكم إلى عملية التأثير من خلال تفاعله مع البيئة المحلية امتدادا إلى تأثير النظام العالمي على أنظمة المجتمع الواحد من خلال التغيرات العالمية في عالم السياسة والاقتصاد والتطور التكنولوجي والحضاري[2].

وبما أن النظام التربوي التعليمي نظام مفتوح يتأثر بمجمل التغيرات المختلفة التي تحدث في العالم وهذا التأثير ينعكس على جميع عناصر النظام من مدخلات وعمليات ومخرجات وإدارة، هذه الأخيرة التي يعول عليها في تحسين العملية التربوية ومن صلب أهدافها جعل النظام التعليمي متكيفا مع متطلبات العصر، ولذلك تمت إعادة النظم التعليمية وتغيير المناهج لإنتاج نفسها وتساير التطور المعرفي والحضاري للعولمة التي تجري سريعا حيث لم يعد التعليم التقليدي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة ولم يعد المعلم هو الناقل لها فقط بل هناك مصادر متعددة للأدوات المعرفية علينا أن نتهيأ ونهيأ لها ونهيئ أبناءنا له.

ولا شك أن العولمة تحمل في طياتها أثارا على ما هو قائم حاليا ومنها ما يكون تأثيره مستقبلا يرسم معالم الغد وانعكاساتها قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية ولكننا حتى الآن لم نرَ أثارها بوضوح كامل لان حركة العولمة لم تكتمل بعد فواصل تطبيقها[3].

رابعا: تحديات العولمة التربوية:

العولمة التربوية والثقافية أخطر أنواع العولمة إذ يمكن اعتبارها عملية اغتصاب ثقافي تربوي للفرد والأمة والمجتمع وقهر لهم جميعاً، ويتضح ذلك من التدخلات الخارجية بتغيير المناهج وعملية التعليم، واستخدام وسائل الدعاية والإعلام وشبكات الاتصال الحديثة كالأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشاشات الحاسوب لتنفيذ ذلك حتى يمكن هدم المنظومة القيمية واهتزاز النظم التربوية.

إن التحديات التي تفرض نفسها على التربية والتعليم تتصف بدرجة عالية من الخطورة والأهمية في عصر العولمة، نظرا للتحولات العميقة والشاملة في مختلف جوانب الحياة والتي تشكل قصفا ثقيلا يهز أركان البنى والمؤسسات التربوية التقليدية التي يتوجب عليها أن تطور فعاليتها إلى الحدود القصوى لكي تتمكن من الحفاظ على دورها ووجودها ووظيفتها في المجتمع.[4]

ويمكن إجمال تحديات العولمة التربوية بما يلي:

1- **التدخلات الخارجية في نظم التربية والتعليم:** إن البرنامج الأميركي يسعى لتكوين ناشئة عربية مسلوبة الهوية والانتماءات الوطنية والقومية، كي تؤمن بنموذج الحياة الأميركي وتدعم مصالحه وأساليب هيمنته[5].

2- **استهداف الهوية الثقافية:** من خلال التحديات القديمة والمتجددة المتمثلة في التبشير والاستشراق والاستغراب والتي تتجدد باستمرار في صورها وأثوابها ووسائلها، كالتسلل المتواصل للمفاهيم المغلوطة والانبهار والاستلاب الثقافي[6].

3- الابتزاز التربوي بالمنح والمعونات الخارجية: حيث تمثل المنح والمعونات الخارجية المقدمة للجهات الحكومية أو الأهلية في الكثير من الدول العربية عامل ابتزاز وضغط وتوجيه لإنفاذ كثير من المخططات المشبوهة مما يجعل كثيرًا من الجمعيات الأهلية المدعومة من الغرب أداة لمحاربة التربية الإسلامية والعمل على طمس الهوية، فماذا تفعل المدرسة في جوّ تكثر فيه المنظمات والجمعيات والمؤسسات الخدمية والأهلية ذات الأهداف اللادينية[7].

4- دمج القيم العالمية في مناهج التعليم عن طريق التربية الشمولية: تحاول منظمتا اليونسكو واليونيسيف دمج القيم العالمية في مناهج التعليم وترسيخ الأفكار الداعية للنظام العالمي الجديد في اتجاهين، الأول يتمثل في الجهود لوضع برنامج للشرق الأوسط في مجال التربية الشمولية تحت اسم"Global education" [8]، والثاني في برنامج للتنمية التربوية لدول حوض البحر المتوسط.

5- الدور الإعلامي المناقض للدور التربوي المدرسي: يعدّ الإعلام وسيلة للتعبير والتوجيه، ووظيفته الحقيقية تتحدّد في التثقيف والتعليم والإرشاد والنصح، وتتضح خطورة الإعلام، ولاسيما في عصر الفضائيّات بتحوّله إلى أداة لهدم القيم والنيل من الرموز، مما

يجعله يمثل خطراً على العملية التربوية ذاتها، فإما أن يدعمها ويتكامل معها أو يضادها ويعيقها، وتحاول العولمة مسخرة الإعلام دفع الإنسان وتنحيته بعيداً عن التربية والأخلاق بإشاعة الجنس والجريمة والتمرد لدى الأجيال وقتل أوقات الشباب في تلك الملاهي وقد "أثبتت الدراسات الحديثة خطورة القنوات الفضائية بما تبثه من أفلام ومسلسلات مسيئة للنظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي"[9]

6- مادية ثقافة العولمة وخطرها على البناء الروحي: إن ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة لا مجال فيها للروحانيات والعواطف، ممّا يجعل تحدي المؤسّسات التعليمية في هذا المجال هو الحفاظ على ديمومة المجال الروحي الصحي السليم للطلاب والطالبات ببثّ مفاهيم التكافل والتعاطف والتواد والإيثار وكلّ القيم النبيلة.

خامسا: تأثير العولمة على التعليم العالي

التعليم العالي الذي هو عبارة عن مرحلة تعليمية مكملة للمراحل التعليمية السابقة، ويقصد به كل أنواع التعليم الذي يلي المرحلة الثانوية أو ما يعادلها، ويهدف إلى تنمية فكر ومهارات وقدرات الطالب في العديد من الجوانب؛ ليتمكن بعد تخرجه من الإسهام في المسيرة التنموية للبلاد.

وبدون شك فإن العالم استفاد من التقنيات الحديثة في التعليم وأن الشعوب تتسابق في الابتكار والحصول على الوسائل الحديثة في التعليم كالحاسب الآلي وشبكة الإنترنت ويمكن التعرف على المعلومات والبيانات باستخدام الإنترنت، والعالم يتجه نحو التعليم الإلكتروني والاستفادة منه والحصول على الشهادات التعليمية في مختلف المراحل كذلك بفضل الاتصالات العالمية استحدثت مفاهيم علمية جديدة مثل:

1- التعليم من بعد : بواسطة الكمبيوتر وربطه بالإنترنت حيث أصبحت بعض المداس والمعاهد والجامعات تعطي شهادات معتمدة من قبل المؤسسات التعليمية التي اعتمدت التعليم من بعد وهذا من الإفرازات التقنية الحديثة[10].

2- التجارة الإلكترونية : لم يعد ضروريا للحصول على سلعة أو بضاعة أن تذهب إلى المحل التجاري. أو لشراء أو بيع أسهم أو تسديد فواتير أن تذهب للبنك، وبفضل التجارة الإلكترونية والإنترنت تعمل هذه العمليات و أنت في منزلك.

3 –الحكومة الإلكترونية : يمكن إنجاز أي عملية أو مهمة مثل معاملة رسمية (حكومية) مثل : الحصول على شهادة ميلاد أو وثيقة رسمية وأنت في منزلك من خلال شبكة الإنترنت ، من غير أن تقف في طابور و تنتظر دورك.

4- الجامعة الإلكترونية : دول كثيرة شرعت في إعداد مناهجها بالكمبيوتر والتعليم والشرح وكل ما يتعلق بالتعليم ودروس التقوية يحصل عليه الطالب من شبكة الإنترنت أو أسطوانات ليزر وكذلك الحصول على الشهادة الدراسية.

5 –القنوات الفضائية التعليمية : التعليم من القنوات الفضائية بدأ ينتشر وهناك قنوات فضائية تعليمية متخصصة تعرض الدروس في المراحل الدراسية والجامعية مما سهل على الطالب على دروس تقوية واعتماد شهادات من تلك القنوات الفضائية التعليمية وهي تابعة لمدارس وجامعات مختلفة[11].

6 –ثورة الاتصالات الحديثة : ونتج عن هذا التطور الكبير في وسائل الاتصالات الحديثة مفاهيم حديثة علمية وطبية مثل طب الاتصال، وهو التعلم والعلاج عن بعد وحدث تغيير كبير في الأجهزة الإلكترونية حتى أصبحت موسوعات علمية وكتب وصور ومعلومات وبيانات في قطعة إلكترونية صغيرة يمكن تداولها ومشاركتها بسهولة.

سادسا: الانعكاسات الإيجابيات لعولمة التعليم الجامعي:

العولمة لها تأثير وانعكاس على التعليم الجامعي سلبا أو إيجابا ونحاول أن نعدد بعض الانعكاسات الإيجابية فيما يلي:

- تسهم في انتشار التكنولوجيا الحديثة من مركزها في العالم المتقدم إلى باقي أنحاء العالم، ومن ثم زيادة الإنتاج زيادة واضحة.
- التعامل معها يعني مواكبة تطورات البحث العلمي لحظة بلحظة من خلال الارتباط العضوي بشبكات الاتصال الانترنت ومختلف الوسائل الحديثة للاتصال.
- تمكن من استيعاب الاستكشافات البحثية والتكنولوجية والنظريات الفاعلة والتي أحدثت تحولاً عميقاً بل وجب القول ثورة هادئة وعجيبة جداً في المعالجة والفهم والآليات والممارسة.
- إمكانية معرفة التيارات الفكرية الدولية عبر انتظام إلقاء ونشر نتائج بحوثها بواسطة النشر الإلكتروني وغيره من الوسائل التكنولوجية الحديثة.

- تسهيل الوصول إلى بنوك المعلومات المختلفة والحصول على المعلومات الأرشيفية المتعلقة بتاريخنا وحضاراتنا وواقعنا السياسي والاقتصادي والمعرفي، وتلك هي أكبر الخدمات التي توفرها الانترنت، باعتبارها قناة لاختصار الزمن والوقت والمال للباحث الجامعي؛ ليعيش عصره، والثورة الاتصالية الالكترونية.
- تستطيع العولمة إفادة البلدان النامية من مخرجات التعليم العالي، حيث إن المشكلة في بعض هذه الدول أن هناك عدداً كبيراً من خريجي الجامعات لا توجد وظائف لهم في سوق العمل المحلي، وهكذا فإن سوق العمل المحدود، والفشل في الاتصال في قنوات التجارة العالمية أدى إلى ركود اقتصادي وعزله في المنطقة، والمعالجة تكمن في إقامة تخصصات مستقبلية لمواجهة احتياجات السوق المحلي تتلاءم مع احتياجات السوق العالمي.
- إن التوليف بين العولمة والتعليم العالي سوف يفرز الفرص لحياة أفضل فعلى سبيل المثال فإن الهند استفادت من العولمة عن طريق بناء صناعة هندسة البرمجيات، وتدريب مهندسين في البرمجيات وأقامت صناعات خدمية وشركات ومشاريع وفرت فرص عمل لحوالي 80 ألف شخص في صناعة التكنولوجيا العالمية.[12]
- تسهم إسهاما واضحاً في نقل المعلومات وتخزينها وتوفيرها لمن يريد الانتفاع.
- انتشار بعض المبادئ الإنسانية كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

سابعا: الانعكاسات السلبية لعولمة التعليم الجامعي:

الانعكاسات الإيجابية يقابلها بعض الانعكاسات السلبية منها على سبيل المثال:

- تعتبر العولمة مشروع للهيمنة ولإعادة رسم الخريطة الجغراسياسية لطمس الهوية العربية الإسلامية والتخلص من المشروع النهضوى العربي الإسلامي.
- العولمة الثقافية المعرفية هي تعميم الثقافة الأمريكية، وهي نفي للآخر وتبرير للاختراق حتى يهمش.
- العولمة لدى الإسلاميين، هي فكر إلحادي، لأنها آمنت بالعلمانية، وهذا في نظرهم يضر بفلسفة الحياة، إذ العولمة معادية للدين والعقيدة والهوية الثقافية وهي القهر والارتباط والاستتباع الحضاري الفكري، أمام التقدم التكنولوجي.

- أكد بعض المنظرين العرب من أن العولمة هي أيديولوجية تعكس الهيمنة على العالم، وأن خلفياتها البعيدة، قضت بإفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى التفتيت والتشبث بعالم اللاحق واللاأمة واللادولة[13].
- مزاحمة المؤسسات التعليمية العلمانية الغربية للمؤسسات التعليمية المحلية في البلدان الإسلامية بعد مرحلة الانفتاح والتقارب بين الشرق والغرب والتوسع في مجالات الاستثمار في هذه الميادين والتي أصبح لها في عصر العولمة شأن كغيرها من القطاعات الخدمية التي يتم عولمتها كما هو الحال في فتح أفرع للجامعات الأمريكية في بلدان المشرق العربي وإفريقيا وآسيا. وهذا يتيح الفرصة لتغريب أجيال الأمة وإبعادها عن ثقافتها الأصلية، حيث تعطى هذه المؤسسات مميزات لا توجد في غيرها مما يؤدى إلى رغبة الأساتذة في الانضمام إليهم، وتسربهم من الجامعات الوطنية؛ لتحقيق رفاهية أكثر في ظل الطفرة التي تشهدها الموارد المالية وقطاعات التعليم العالي ليتحقق للأستاذ الجامعي مكانته الاجتماعية والوظيفية التي يطمح إليها.
- هناك آثار صحية ضارة يورثها التعامل مع التقنيات الحديثة أثبتتها الدراسات العلمية، ونجدها دائما في النشرات التقنية التي ترافق دليل استخدام تلك التقنيات والتعامل معها، منها ما يؤثر على البصر، ورسغ اليدين، وخلايا الدماغ، زيادة الوزن ...
- تنامي الشعور لدى الطلاب بإمكانية الاستغناء عن المدرسة.
- تنامي ظاهرة النشر الإلكتروني حيث أصبحت أحد أهم العوامل المؤثرة على الثقافة العربية وخصوصياتها حيث تشير أحدث الدراسات التي قامت بها اليونسكو إلى أن التجارة العالمية في السلع والمحتويات الثقافية الموسيقى والفنون التشكيلية، وأفلام السينما وأجهزة الفيديو والتلفاز (تضاعفت من 67 مليار دولار عام 1980 إلى 200 مليار دولار عام 1997)[14].
- وقد كتب مدير مكتب اليونسكو والممثل الإقليمي لدى الدول العربية في الخليج في دراسة له إن تأثيرات العولمة على منظومات التعليم العالي ستستهدف جميع متغيراتها بدءاً من السياسات والأهداف وانتهاء بالإدارة والتسيير والتمويل.[15]

ثامنا: تأثير العولمة على التعليم العالي في ميدان العلوم الاجتماعية

إن مقررات التعليم الجامعي في ميدان العلوم الاجتماعية ترتكز في بعدها النظري إلى كثير من النظريات –وكان تركيزنا على النظريات لأنها أساس العلوم– غربية المنشأ تستند إلى إيديولوجية غير التي نتبناها وتتماشى مع واقعنا وقيمنا وحضارتنا العربية الإسلامية كما هو الحال في معظمها لا يمكن تجريدها عن إيديولوجيتها أو إيديولوجية صاحبها لطبيعة وخصوصية العلوم الاجتماعية.

ولعل تدريسنا لهذه النظريات ليس من أجل الدراسة المقارنة أو التطور التاريخي وإنما من أجل التبني والعمل بها بدون نقد وتقويم إلا ما كان اجتهادا فرديا من بعض الأساتذة، والمطلع على البرامج البيداغوجية لمختلف الجذوع المشتركة[16] وتخصصات علم النفس وعلوم التربية[17] وعلم الاجتماع[18] يجد كثير من النظريات في مختلف المقاييس منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- النظريات الاجتماعية في مقاييس علم الاجتماع مثل الماركسية ونظرية الفعل الاجتماعي والنظرية الوجودية والنظرية البنوية والنظرية الوظيفية..
2- نظريات التشنئة الاجتماعية في مقياس علم النفس الاجتماعي.
3- مدارس علم النفس كالمدرسة التحليلية والسلوكية والمعرفية في كثير من مقاييس علم النفس.
4- نظريات العلاج النفسي في علم النفس المرضي.
5- نظريات علم نفس النمو.
6- الفلسفات التربوية في مقاييس علوم التربية كالحركة الطبيعية، والفلسفة المثالية والفلسفة البراجماتية والفلسفة الواقعية...
7- التيارات التربوية الغربية المختلفة.
8- نظريات التعلم والتعليم في مقاييس علوم التربية.
9- نظريات الإرشاد في مقاييس الإرشاد.
10- النظريات الأساسية في التوجيه المدرسي والمهني.

تاسعا: اتجاهات التعامل مع العولمة في التعليم العالي في ميدان العلوم الاجتماعية

لا شك أن العولمة اليوم أصبحت واقعا مفروضا يحتم علينا أن نتخذ مواقف لكيفية التعامل معها في جانب البرامج والمقررات الجامعية في ميدان العلوم الاجتماعية – من ناحية المضمون والمحتوى ومن ناحية الشكل والتنظيم– هذا المحتوى الذي يشمل مختلف النظريات التي تظهر هنا وهناك لا يمكن تجاهلها وتعددت الآراء في ذلك نحاول أن نذكرها ونناقشها بمعزل نسبة انتشارها.

الرأي الأول: الذين يقولون برفض كل ما أتت به العولمة عن طريق الغرب ويدعون للأصالة والعودة اللامشروطة للموروث الفكري والتربوي الزاخر بالنظريات والاتجاهات التربوية القيمة لأحيائه، وبعث مضامينه التي تحقق المكانة التربوية المطلوبة؛ إما على مستوى مضاهاة عرب الأمس وإما على مستوى التميز عن الغرب[19].

ومواجهة تأثيرات التغريب على المقررات الدراسية الجامعية بضرورة مراجعة مقررات الجامعة في العلوم النفسية والاجتماعية ونزع وإلغاء كل ما ليس من الإسلام ويتم حذف من المقررات كل النظريات النفسية والاجتماعية التي تستند إلى إيديولوجية غربية لا تؤمن بالله كما هو حال معظم النظريات.

فلابد من كشف الجوانب العلمانية في العلوم الاجتماعية الغربية وتصوراتها الملحدة لطبيعة الإنسان وإثبات حقيقة أنه من دون وجود علوم نفسية واجتماعية إسلامية قد تصبح أغلب الممارسات التطبيقية للعلوم الاجتماعية الغربية قليلة الفائدة والجدوى وقد تحدث الضرر في مجتمعاتنا.

لكن هذا الاتجاه فيه نوع من الانغلاق والتقوقع وعدم الاستفادة مما وصل إليه الغرب من مبادئ ونظريات تسهم بشكل أو بآخر في تطوير العلوم الاجتماعية عندنا ضف إلى ذلك أننا إذا نزعنا كل ما هو غربي في مقرراتنا علنا لا نجد ما ندرس لتوقف أو نقص البحث العلمي في العلوم الاجتماعية من طرف العلماء المسلمين منذ القديم بحيث لا يوجد علوم اجتماعية إسلامية قائمة بذاتها مواكبة للعصر الحديث.

الرأي الثاني : إن ما جاءت به العولمة من فكر الحداثة العلماني وأن العلوم الاجتماعية قائمة على الملاحظة العلمية الدقيقة وهو كغيره من العلوم التجريبية وليس للدين

وللنواحي الأخلاقية ولا للبيئة دخل فهو كبقية أداة يستخدمها الإنسان لخير والشر بحيث يمكن تعميمه على العالم[20].

وهؤلاء هم دعاة الحداثة والمعاصرة للغرب، "وذلك باستبدال اللغة والأساتذة والبرامج المحلية بالكفاءات والخبرات والأدوات الأجنبية وتقليد الغرب ومحاكاته في تصوراته وممارسته التربوية، قصد حرق المراحل واللحاق بركب الحضارة العالمية وتربوياتها الحديثة التي لا ترى في إحياء التراث التربوي أو إعادة اكتشاف فتراته الزاهرة الوسيلة المثلى للاستمرار في تألقها وازدهارها.[21]

وهذا الرأي يصطدم أمام حقيقة أن تصدير العلوم الاجتماعية الغربية التي ليس لها مستوى مقبول من الصدق والثبات حتى في بلدانها بوصفها معارف ثابتة فشل في مساعدة الدول النامية على حل مشاكلها وهو بسبب هذا الفرق الشاسع بين هذه البلدان والدول الغربية هذا ما أورده **موغدام وهاري** وهما بحثان أمريكيان[22].

بل حتى في بعض الدول المحافظة على هويتها لا تقبل كل ما جاء من الغرب مثل روسيا والصين[23]

إن عدم مراعاة خصوصيتنا الإسلامية وقبول كل ما يأتي من الغرب يجعل طلبتنا في حيرة من أمرهم ويعيشون في تناقضات كثيرة تجعل منهم بدون إيديولوجية ومرجعية متأرجحين بين العلمانية والإسلام وكذلك أن تطبيق النظريات الغربية مباشرة منا هي على واقعنا قليل الفائدة ولا يمكنه معالجة المشكلات في مجتمعنا.

الرأي الثالث: إن كلا الرأيين السابقين يسعى لتطوير العلوم الاجتماعية ونظرياتها وإعطاء حلول علمية للمشكلات الواقعية لمجتمعنا لكن بأساليب ووسائل مختلفة، والإشكالية بين كلا الفريقين تزداد حدة يوماً بعد يوم.

ولهذا ظهر رأي وسط يدعوا له من يرون بضرورة الاستفادة من التطور الحاصل في الغرب وما وصولوا إليه من نظريات ومبادئ تحكم العلوم الاجتماعية لكن بشرط صبغ هذه بصبغة إسلامية تتماشى مع قيمنا وحضارتنا وواقعنا، أي تكييفها لتكون مناسبة لنا وتضع حلولا لمشكلاتنا وقد يتم هذا عبر تجريد النظريات من محتواها الإيديولوجي وأخذ الجانب التقني أو العملي من النظرية.

هذا المنحى الذي يحتاج جهدا كبيرا لتعقد الظاهرة الاجتماعية وتعذر تجريد النظريات عن الإيديولوجيات التي نشأت منها أو أفكار وخلفيات أصحابها لعدم ظهورها أحيانا فتكون مبطنة عن قصد أو غير قصد قد يصعب اكتشافها.

ومع هذا فهناك كثير من الاجتهادات في هذا المجال تحتاج التشجيع وتوسيع دوائر البحث.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

- بالرغم من الأهمية البالغة للتعليم خاصة منه الجامعي إلا أننا لاحظنا أن هناك تقصيرا واضحا في وضع إستراتيجية محكمة تخص تحديد محتوى المقاييس في شتى شعب العلوم الاجتماعية حيث أن المحتوى يترك عادة لاجتهاد أفراد من فريق التكوين مما يدل على الارتجال في موضوعات هي من أهم ما يجب أن يولى به الاهتمام، الشيء الذي عكس الاختلافات الواضحة بين جامعة وأخرى في نفس التخصص بل حتى بين أستاذ وآخر من نفس الجامعة.

- هناك طغيان واضح للنظريات الغربية في محتوى المقاييس وفي بعض الأحيان غير مدروس ودون نقد أو تمحيص الشيء الذي يجعل الطالب يتبنى هذه النظريات دون أن تكون له المناعة مما تحتويه من بعض الأفكار الإيديولوجية التي قد لا تتناسب وعاداتنا وتقاليدنا وتراثنا ودیننا.

- هناك بعض الاتجاهات العربية والإسلامية الحديثة التي تجتهد من أجل صياغة نظرية توفيقية تأخذ بايجابيات الوافد من النظريات الغربية لتعيد صياغة نظرية جديدة من شأنها أن تكون بديلا أكثر تكيفا مع واقعنا الحالي.

- يبدو أن هناك فجوة معرفية عميقة بين الشرق والغرب تصعب علينا مسايرة تطور النظرية الاجتماعية مع ما يحدث من تطورات تاريخية واقتصادية وسياسية تؤسس لهذا التغير أو ذاك، فتلك النظريات كانت دون شك وليدة البيئة التي نشأت فيها ونحن بالرغم من أن مسار التغير التاريخي ليس نفسه الذي يحصل في الغرب إلا أننا في كل مرة نستورد الجاهز من آخر الصيحات في ميدان النظرية الاجتماعية.

- كذلك يبدو أن هذه الاتجاهات النظرية الحديثة في عالمنا العربي والإسلامي والتي تستهدف تكوين رؤية متكاملة للحياة يمكن أن نشتق منها النظريات الجزئية في ميدان

الاقتصاد والسياسة والاجتماع وعلم النفس لا زالت محاولات في المهد تتقاذفها أمواج التزمت الديني النصي من جهة والانبهار بالعقلانية الغربية الصرفة من جهة أخرى.

–

الهوامـــش

[1] ***علي أسعد وطفة وصالح الراشد،*** *التربية في الكويت والعالم العربي إزاء تحديات العولمة آراء عينة من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الكويت،* ***مجلة رسالة الخليج العربي العدد (90)، 2009، ص 132.***

[2] نافز أيوب محمد علي محمد، **انعكاسات العولمة على التعليم**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2010، ص 73.

[3] مارتين هانس . بتر شومان، **فخ العولمة**، ت: عدنان عباس علي، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 165.

[4] علي أسعد وطفة، **التربية العربية إزاء تحديات العولمة**، بحث مقدم، جامعة الكويت ص 11.

[5] حسن شحاتة ، **مداخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي**، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2004، ص191.

[6] - نفس المرجع ص 191.

[7] نفس المرجع ص 192.

[8] لبنى بنت حسين العجمي، **امتداد تأثير العولمة على التعليم في الوطن العربي**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2007، ص 108.

[9] أمين، جلال، **العولمة**، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص126.

[10] عياش حسني، **شكل التعليم في العصر المعلوماتي المعرفي**، الثقافة والتنمية، عمان، الأردن، 2005، ص 127.

[11] نفس المرجع، ص 129.

[12] سلوى بنت محمد المحامدي، **العولمة وأثرها على التعليم العالي، بحث مقدم جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية**، مكة المكرمة، 2010، ص 6.

[13] سمير مصطفى الطرابلسي، **العرب في مواجهة العولمة**، المعرفة، العدد 47، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 64.

[14] نفس المرجع ، ص 7.

[15] نفس المرجع ، ص 8.

[16] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، **البرنامج البيداغوجي للجذع المشترك لعلم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، 2000**، مديرية التعليم والتكوين، الجزائر، 2000.

[17] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، **برنامج ليسانس علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، 1999-2000**. مديرية التعليم والتكوين، الجزائر، 2000.

[18] وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، **البرنامج البيداغوجي للسنوات الثانية والثالثة والرابعة علم الإجتماع، 2001**، مديرية التعليم والتكوين، الجزائر، 2001.

[19] أشرف البطران، **التربية العربية وتحديات العولمة**، من الموقع الالكتروني:http://www.abegs.org/Aportal/Article/showDetails?id=6071

[20] مالك بدري، **كيف السبيل إلى أسلمة مقررات علم النفس الجامعي؟**، مجلة الجامعة (مجلة اتحاد جامعات العالم الإسلامي)، العدد الثامن، المغرب، 2010، ص 10.

21 أشرف البطران، مرجع سابق من نفس الموقع الإلكتروني.

[22] مالك بدري، مرجع سابق، ص 11 .

[23] مالك بدري، نفس المرجع، ص 12 .